

## مبحث في سيرة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ كما جاء في القرآن الكريم وذلك من خلال اسمه الكريم(١)

مُقَدِّمَةٌ :

إن هذا القرآن العظيم هو المعجزة الكبرى لنبينا وسيدنا محمد ﷺ وقد أعجز العرب ببلاغته أن يأتوا بمثله بل أن يأتوا بعشر سور من مثله بل أن يأتوا بسورة من مثله بل قال ﷺ في سورة الإسراء ٨٨ :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ﴿٨٨﴾ فقطع بذلك أمل الفصحاء قاطبة عن أن

يأتوا بمثل هذا القرآن أو أن ينافسوه في بلاغته وفي نظمه ، والعرب أمة الفصاحة والبلاغة والبيان لما سمعوا هذا القرآن علموا أن لا قبل لهم به فلم يحاول أحداً منهم أن يأتي بمثله أو أن ينافسه في نظمه وفي بلاغته ، وعلى الرغم من أن معجزات القرآن الكريم المتعددة والدراسات والبحوث القرآنية المختلفة في شتى المجالات أكثر من أن تحصى إلا أن هذه البحوث على كثرتها قد مرت على اسم أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ والموجود رسمه في سورة البقرة بدون ياء هكذا: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مرور الكرام فلم تشر إلى حكمة الرسم على هذه الصورة لا من قريب أو من بعيد ، حتى أنني كنت أتوقع أن يدرج اسمه تحت قاعدة الرسم في كتب علوم القرآن الكريم والتي تنص على :

" فيما فيه قراءتان فكتب على إحداها " وعلى الرغم من تناول العلماء الأجلاء للآيات الكثيرة والكلمات الكثيرة والمدرجة تحت القاعدة السابقة ومع ذلك جاءت تلك القاعدة خالية تماماً من الإشارة إلى علة كتابة اسمه ﷺ بدون ياء ، وبالبحث في المراجع المختلفة والتي تناولت ظاهرة الرسم لاختلاف المعنى ، وجدنا أن العلل التي يقدمها العلماء لظواهر الرسم تتعلق أما باختلاف رسم الكلمة لاختلاف معناها وذلك حسب موقعها الذي ترد فيه ، أو اختلاف الرسم لمعان باطنة تتعلق بمراتب الوجود والمقامات حتى وضع أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي الشهير "بابن البناء المراكشي" والمتوفى سنة ٧٢١ هـ كتابه في الكشف عن الأسرار التي يتضمنها الرسم العثماني والذي أسماه "الزركشي" و "السيوطي" عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل).

---

(١) هذا البحث مسئل من دراستنا القرآنية والمعنونة بـ "إعجاز الرحمن في رسم القرآن "

وإن كنا لم نطلع على نسخة من الكتاب إلا أن الزركشي والقسطلاني قد أغنيا عن ذلك — نوعاً ما — بما أورده عنه من بيان منهجه وبعض التطبيقات على أمثلة متعددة من الرسم ، والمجال هنا ليس مجال مناقشة اتجاه أبو العباس المراكشي ، فلقد كان الرجل ذا ميل شديد إلى العلوم العقلية والرياضية ويتجلى ذلك في مؤلفاته الكثيرة في المنطق والفلسفة والفلك ، ثم أنه ذو اتجاه صوفي وجداني ، ورغم الصورة المنطقية التي يعرض فيها المراكشي مذهبه فإن هذا الاتجاه بعيد كل البعد عن طبيعة الموضوع فنحن نكاد نجزم أنه لم يدر في خلد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أي شيء من تلك المعاني التي يحاول أبو العباس المراكشي أن يعلل بها رسم الكلمات في المصحف الشريف وذلك في صورة فلسفية باطنية ، فلقد كانوا مشغولين بمعاني القرآن الكريم الناصعة وآياته البينات المحكمة عن تلك المعاني الفلسفية الغامضة والتي يحتاج إلى فهمها لون معين من ألوان الثقافة المتخصصة ، ولقد ردد الدكتور عبد الحي الفرماوي في كتابه "رسم المصحف ونقطه" (١) كلام المراكشي وتحمس له كثيراً جداً ، إلا أنه ختم كلامه ص ٣١٦ بقوله : (إن المعاني التي يأخذها العلماء قد تتعدد وتتنوع والرسم هو الرسم يحمل في طياته من المعاني ما لا يُكتشف إلا لكل متأمل فيه بعقل واع ، وقلب مستضيئ ، ينبغي الوصول إلى هذه الأسرار المعجزة في هذا الرسم، فإذا ما أصاب بعض العلماء في فهم هذه المعاني الخفية فهذا من الله تعالى توفيق لهم وإذا ما أخطأ آخرون في فهمهم للمعاني الخفية التي تستكن وراء هذه الرسوم وفي تحليلهم لمخالفاتها، فليس بعيب في الرسم، وإنما هو اجتهد وخطأ في الاجتهاد) ، وهذا الكلام الذي ذكره الدكتور عبد الحي الفرماوي كلام طيب ومقبول من جميع الأوجه ، وعليه فلقد تتبعت اسم أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ في القرآن الكريم فوجدت أن رسم الاسم قد ارتبط بسيرته ﷺ وبتاريخه ، وعلى هذا الأساس سوف يكتشف القارئ أن ظاهرة كتابة إبراهيم على النحو المذكور في

سورة البقرة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ستخضع إلى معان تاريخية وليست لعل لغوية .

#### التسلسل التاريخي لسيرة الخليل ﷺ

لقد كان اسم الخليل ﷺ على مدى تسع وتسعين سنة هو (أبراهام) ، ولقد ظل اسمه هكذا إلي أن تجاوز إسماعيل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الرابعة عشرة من عمره بقليل ، عندئذ تغير اسمه من (أبراهام) إلى (إبراهيم) ، فإبراهيم البقرة تكتب أبراهام وتنطق إبراهيم لأن مصحف الإمام على قراءة واحدة لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا إذا ما قرءوا سورة البقرة قرءوا أبراهام وفي غيرها كانوا يقرءون إبراهيم وهذا من الأسباب التي

(١) رسالة دكتوراه في مكتبة أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٧٤ .

جعلت الإمام يأمر بجمع القرآن على قراءة واحدة .

وعليه فدلالة الرسم هنا دلالة تاريخية وليست دلالة معنوية أو لغوية ، وهذا الأمر في يقيني لم يغب عن الصحابة الأجلاء فهم علماء الأمة الأعلام برسم المصحف ودلالته والرسم توقيفي وسورة البقرة نزلت منجمة على مدي تسع سنين ، ومع ذلك كان رسم إبراهيم بدون ياء مع أن رسم الاسم لا يخضع لقاعدة الحذف كما سبق قوله الأمر الذي يجعلنا نكاد نجزم أن اسمه كان أبراهام وذلك على مدي تسع وتسعين سنة هي تاريخه وسيرته العطرة كما وردت بسورة البقرة ، فإبراهيم هو أبراهام مثل ما كان حفيده يعقوب عليه السلام حيث كان اسمه يعقوب وتغير إلى إسرائيل حيث يقول عليه السلام في سورة البقرة ١٣٣ :

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٣ ويقول جل علاه في سورة آل عمران ٩٣ :

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾  
ومن المعلوم أن عيسى عليه السلام قد بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد كما هو وارد في سورة الصف ٦ :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ١٠٩

وفي الفتح ٢٩ : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾

وعليه فإن إبراهيم عليه السلام هو أبراهام ، فمتى حدث التغير في اسمه الشريف ؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عنه في الصفحات القادمة .

إذا تتبعنا سيرة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام طبقاً لما هو موجود بكتاب اليهود والنصارى ، نجد أن الحديث يبدأ باسم (إبرام) وينتهي باسم (إبراهيم) بعد تسع وتسعين سنة ، مما جعل السير "ليوناس" صاحب كتاب (أبراهام) يرجح أن أبراهام غير

(أبرام) ، وقال معللاً ذلك أن تسمية الحفيد باسم الجد كانت مألوفة جداً في البلاد البابلية ، كما يظهر ذلك عند مقابلة أسماء الملوك من أسرة واحدة فإذا كان لإبراهيم جد باسم (أبرام) كما جاء في كثير من الروايات فالأقرب والمألوف هو أن المتأخرين بعد عصره جمعوا بين أخبار الاثنين ووصلوا عمر أحدهما بعمر الآخر فبلغوا بهما مائة وخمساً وسبعين سنة ، وغير بعيد أن يكون العبريون المتأخرون قد تكلموا عن (إبراهيمين) لا عن (إبراهيم) واحد ، ومن أصحاب هذه النظرية الدكتور "كامبيل" والعلامة "جاستانج" حيث وجد المنقبون في مدينة أريحا مقابر للهكسوس واستطاعوا أن يعينوا وقتاً لوجودهم بأرض كنعان حوالي سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد وعلموا أن أمير أريحا تواطأ مع الهكسوس على غزو مصر ، وكان هجوم الهكسوس على مصر معاصراً لهجوم قبائل البدو من "عيلام" و "عمور" على "بابل" وكانت الأرض التي في طريق مصر موزعة بين "العمالقة" و "الحيتيين" و "اليبوسيين" و "العموريين" وليس بينهم ذكر "للعبرانيين" ، إلا أن المنقبين الذين عينوا زمناً للهكسوس حوالي ١٧٥٠ قبل الميلاد لم يعرفوا من هم الهكسوس على وجه التحديد ولكنهم استخلصوا من خط السير الذي اتبعوه بعد خروجهم من مصر منهزمين أنهم عادوا إلى موطنهم في شمال سوريا ، وأنهم على الأرجح مزيج قديم من "الآراميين" و "الحيتيين" ولم يطل مقامهم بمصر أكثر من نصف قرن .

ثم تعقبهم المصريون ودمروا المدن التي تواطأت معهم على غزو الديار المصرية ومنها أريحا و "أحمس" قاهر "الهكسوس" معروف في التاريخ المصري القديم ، وإلى هذا التاريخ (١٧٥٠ ق.م.) لم يكن للعبرانيين — العبريين — الذين يسمون أنفسهم بأبناء إسرائيل أي أثر بين القبائل التي في طريق مصر ، ولم يذكر لهم أي أسم في أي أثر من الآثار التاريخية قبل سنة ١٢٢٠ قبل الميلاد ، فلو أن بني إسرائيل كانت لهم قوة مؤثرة في المجتمع المصري القديم ما أغفله المصريون القدماء ولقاموا بتدوينه على معبدهم وجدرانهم — فالمصريون القدماء لم يغفلوا أي حدث من الأحداث كبيراً كان أم صغيراً — ما كان لهم وما كان عليهم مما يدل على أنهم — أي بني إسرائيل — لم يكن لهم وجود على الإطلاق قبل تاريخ ١٢٢٠ قبل الميلاد ، والأثر الوحيد الذي يروي خبر حملة الفرعون "مرنفتاح" التأديبية على "عسقلان" و "جزى" و "يوانام" و "إسرائيل" ، يقول أنه محا "إسرائيل" فلم تبق لهم باقية ، ويؤيد خبره هذا أن النصب الذي أقيم بعد ذلك مسجلاً لانتصار "رمسيس الثالث" على "العموريين" و "الفلسطينيين" و "الحيتيين" سنة ١١٩٠ قبل الميلاد لم يرد فيه ذكر "إسرائيل" .

نذكر هذا التاريخ لأن عصر الخليل ﷺ قبل هذه الفترة على وجه التحديد والتحقيق فمن القرن الثاني عشر إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد لم يكن لإبراهيم ﷺ وذريته مقام في غير الجنوب عند "جيرار" أو وراءها جنوباً ، ولم يكن لإبراهيم مقام في حبرون ، ولهذا يرجح الدكتور "كامبيل" أن إبراهيم لم يدفن في مغارة المكفيلة بحبرهن على مقربة من أورشليم ،

ولكن الذين انتسبوا إليه تعلقوا بذكرى هذا المدفن لتسويغ دعواهم في مملكتهم ولا بد هنا من "إبراهيمين" أحدهما جاء بعد الآخر بزمان طويل ويذهب الدكتور "كامبيل" بعيداً جداً في هذا الغرض فيشير إلى ورود اسم (إبراما) في الآثار البابلية وراح يستدل على هذا الفرض من الآثار والأحافير حتى وصل على سبيل الاستدلال بسرد أسماء أخرى في الأحافير ومنها (إبرمراما) وهو على رأي الدكتور قد يكون (أمر مرابي) الذي هو (أمورابي) بعينه والمعروف في التاريخ بعمورابي، وهو ولا شك جد من أجداد العموريين الذين ملكوا بابل وكانت منهم شعبة تملك بيت المقدس وحبرون بجوارها ، فلما امتزج العموريون والعبريون واشتركوا في العبادة والسيادة صعد العبريون بنسبهم إلى جد مدفون في حبرون يسمى (إبرام) وذكروا أن قبره مشترى بالمال من ملوك الأرض الأصلاء ، فليس في دفنه ثمة عدوان أو إدعاء.

والتحقيق العلمي التاريخي يضع عصر إبراهيم ﷺ ما بين سنة (٢٠٠٠ و ١٧٠٠ ق.م) ووضع عصر حمورابي في ختام الفترة السابقة من (١٧٩٢ — ١٧٤٩ ق.م) وأن مولد إبراهيم ﷺ يوافق ١٩٩٦ ق.م وأن سدوم وعمورة خربتاً حوالي سنة ١٨٩٨ ق.م ومن التحقيق التاريخي واللغوي يتبين لنا أنه لا يوجد هناك (إبراهيمين) بل هو (إبراهيم) واحد وأن (إبرام) هو هو (أبراهام) وكلا الاسمين هما اسم واحد لشخص واحد هو إبراهيم الخليل ﷺ ، وقد يأتي الخلط في الاسم نتيجة للجهل بالتطور التاريخي للاسم نفسه وهذا الخلط قد حدث مع أبيه نفسه ، فمثلاً جاء في القرآن الكريم أن اسم والد إبراهيم هو (آزر) فاتخذ المهاجمون للإسلام من ذلك دليلاً على الخطأ في تسمية أبي الأنبياء ، وقالوا إن اسمه (تارح) كما هو وارد في العهد القديم ، وجاء بعض المفسرين من المسلمين فحاولوا طويلاً أن يجعلوا لكلمة آزر موضعاً من الإعراب أو مدلولاً يبطل ذلك الانتقاد ويردون به تخطئة المهاجمين ومن هؤلاء العلماء الأجلاء المغفور له فضيلة الشيخ " محمد متولي الشعراوي " حينما اجتهد وأثبت أن المقصود بـ (آزر) هو عمه وليس أبوه والواقع أن هذه التخطئة لا محل لها عند النظر في أصول الأسماء ، حيث يقول العلامة "عباس محمود العقاد" في كتابه إبراهيم أبي الأنبياء — ما ملخصه — : إن إبراهيم ﷺ قد انحدر إلى أرض كنعان من أرض آشور واعتقد شراح الكتب الإسرائيلية في غير موضع أن الأباء الأولين كانوا ينسبون إلى بلادهم أو أممهم كما يقال عن ابن مصر وابن أوروبا وأبناء الشرق وأبناء الغرب وأبناء النيل فإذا نسب إبراهيم إلى آشور فمن الجائز جداً أن يكون (تارح) و (آزر) لفظين مختلفين لاسم واحد ، سواء كان هذا الاسم علماً على رجل أو على الجد القديم الذي تنسب إليه أمة آشور وكثيراً ما انتسب القوم إلى اسم جد قديم، كما يقال في النسبة إلى عدنان وقحطان ، ونظرة واحدة في كتابة اسم آشور ونطقها إلى اليوم في العراق وسورية تقرب لنا هذا الاحتمال الذي يبدو بعيداً لأول وهلة ، فقد كتبت (آشور) تارة (أزور) وتارة (أثور) وتارة (آتور) بالتاء وتارة (آسور) بالسین ولا يخفى أن

اللغات السامية لم تكن تكتب لها حروف علة إلى زمن قريب وأن الإغريق أطلقوا اسم (أسورية) على وطن إبراهيم من نهر الفرات إلى فلسطين ، فينطقون (الياء) الإغريقية بين الواو والياء ، ولهذا تكتب (لوبيا) بالواو كما تكتب بالياء ، وتنطق (سيرية) بالياء في اللغات الأوربية وتنطق (سورية) بالواو في اللغات الشرقية ، ولا يخفى كذلك أن كلمة (تارح) تنطق (تيرح) على لسان الكثيرين من الناطقين باللغات السامية وتنطق (تيرا) و(تيرة) عند الذين لا يستطيعون النطق بالحاء ، فإذا لا حظنا ذلك كله ، فليس أقرب من تحويل (آتور) و(إتير) إلى (تيرة) و(تيرح) ، وقد وردت في تاريخ (يوسيفوس) بغير الحاء ووردت في تاريخ (يوسيبوس) "أثور" ، وهو مكتوب باليونانية ، وقد ورد في التوراة اسمان بمعنى الأميرة إحداهما هو (سارح) — تك ٤٦ — بالحاء والأخرى بغير الحاء أو (سارة) أو (ساري) ، ومؤدى هذا أن (آزر) هو النطق الصحيح الذي عُرف به (آسور) القديم وأن (تيرة) و (تيرح) هي نطق الذين يكتبونها (أتيرة) و (أتيرح) وينطقون بكلمة (آتور) بين الواو والياء روي صاحب "المزهر" عن الأصمعي: (أن رجلين اختلفا في الصقر فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه فقال : لا أقول كما قلتما إنما هو الزقر، وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل وإذا اختلفت الحروف في اللهجة العربية الواحدة هذا الاختلاف فلا محل للجزم بالتخطئة حين تختلف السين والزاي أو التاء والتاء في لغات تباعدت بينها الآماد) ، وتقيد ملاحظة العقاد في أن تاريخ الخليل إبراهيم ﷺ لم يكن مستمداً من المصادر اليهودية كما زعم بعض المتسرعين من رواة الأخبار الدينية غير الإسلامية، وإلا لما كان أيسر من تسمية أبيه تارحاً أو تقرحاً أو تيرة وما شابه هذه التصحيفات ولما كان هناك سبباً قط لتسميته بأزر على أي توجيه .

فخلاصة القول أن دعوة إبراهيم ﷺ لم تصل إلى الحجاز من مصادر يهودية .

#### النتبع اللغوي لاسم إبراهيم ﷺ في القرآن الكريم وكتاب النصارى

لقد جمع الإمام الشاطبي السور التي يقرأ فيها اسم إبراهيم — (أبراهام) بخلاف البقرة في اثنتا عشرة سورة — بمعنى أنه لم يذكر البقرة في نظمه — وكأن الأصل في البقرة هو أن تنطق أبراهام وليس إبراهيم ، والسور بترتيب القرآن الكريم هي كالاتي :

- النساء ١٢٥ ، ١٦٣
- الأنعام ٧٤ — ٨٣
- التوبة ١٤٤
- إبراهيم ٣٥
- النحل ١٢٠ ، ١٢٣
- مريم ٤١ ، ٤٨ ، ٥٨
- العنكبوت ٣١
- الشورى ١٣
- الذاريات ٢٤ — ٢٧
- النجم ٣٧

والمتتبع لسيرة الخليل ﷺ كما جاءت في القرآن الكريم يجدها وقد ارتبط اسم الخليل ﷺ كما هو وارد في سيرته العطرة بأبراهام ثم ختمت سيرته الكريمة بسورة الحج وفيها يُحرم على القراء قراءة الاسم الكريم "إبراهيم" بأبراهام ، فلقد تحول اسمه ﷺ إلى إبراهيم وذلك بأمر من الله ﷻ وهذا هو ما أجمع عليه فقهاء علم القراءات ولقد جمع الإمام الشاطبي المواضع التي يقرأ فيها إبراهيم في الأبيات التالية ، وذلك بعد ذكره سورة البقرة بقوله ﷻ "وفيها" — أي البقرة — فتأمل .

يقول :

وفيها وفي نصّ النساء ثلاثة	وأخر إبراهيم (ل) اح و حملاً
ومع آخر الأنعام حرفاً براءة	أخيراً وتحت الرعد حرف تنزلاً
وفي مريم والنحل خمسة أحرف	وأخر ما في العنكبوت منزلاً
وفي النجم والشورى وفي الذاريات	والحديد ويروى في امتحانه الأول

لاحظ أن الإمام لم يذكر سورة الحج في نظمه ، وفي شرح الأبيات نجد أن معنى (ل) هي رمز هشام عن ابن عامر ، أي أبدل هشام عن ابن عامر الياء من إبراهيم ألفاً ويلزم من ذلك فتح الهاء قبلها ، وللمزيد والإطلاع انظر كتاب "شرح الهداية في القراءات السبع لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي" وكتاب "منجد المقرئين ومرشد الطالبين" لابن الجزري .

يقول ابن كثير وهو يذكر سيرة الخليل ﷺ عند ذكره نسبه ما يلي :

هو إبراهيم بن تارح — وهو آزر — بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح .. وقد أسقط ذكر قينان بن أرفخشذ من عمود النسب ، وقيل بسبب أنه كان ساحراً فأسقطوه من الذكر ، وقالوا شالح بن أرفخشذ وهو بالحقيقة شالح بن قينان بن أرفخشذ فاعلم ذلك ..

١ — ولد إبراهيم ﷺ بالأهواز ، وقيل ببابل وهي العراق وكان آزر أبوه يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها ، فكان إبراهيم ﷺ يقول له كما هو في سورة الأنعام ٧٤ :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٤١﴾ وباقى الحوار أبرزته سورة مريم ٤١ — ٤٥ هكذا :

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ ٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَأَبَّتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَأَبَّتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَأَبَّتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾

الآيات الكريمة السابقة توضح أن الله ﷻ لما أمر الخليل أن يدعو قومه إلى التوحيد بدأ أول ما بدأ بأبيه فدعاه فلم يجبه .

وقال له أبوه مهدداً — باقي الآيات الكريمة — :

﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي﴾ يَتَابَرَاهِيمُ ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ ٤٦ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾

٢ — ثم دعا قومه فلم يجيبوه ، وهذه المرحلة وضحتها سورة الأنبياء الكريمة الآيات ٥١ — ٥٨ :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبِيدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾

٣ — فكان القرار الإيجابي من الخليل ﷻ كما توضحه تكملة السورة الكريم الأنبياء ٥٨ :

﴿وَتَلَلَّهُ لَاكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ ٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذْدًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾



٤- ثم كانت المواجهة بينه وبين قومه حيث زلزل فيهم عقيدتهم ولم يخش في الله لائمة لائم  
كما توضحه تكملة السورة الكريمة الأنبياء ٥٩ — ٦٧ :

﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى  
يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿ ٦٠ ﴾ قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ  
﴿ ٦١ ﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَبْرَاهِيمُ ﴿ ٦٢ ﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا  
فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿ ٦٣ ﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ  
الظَّالِمُونَ ﴿ ٦٤ ﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿ ٦٥ ﴾ قَالَ  
أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿ ٦٦ ﴾ أَفَلَا تَكْزُمُ وَلِمَا  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ ٦٧ ﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿ ٦٨ ﴾

٥- وتستمر السورة الكريمة لتوضح النتيجة التي اهتدى إليها قومه بعد أن عجزوا عن  
المواجهة العقلية التي جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ، عليك أن تدقق النظر فقط في الآية رقم  
٦٤ السابقة :

﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ٦٤

٦- ثم انتقلت الدعوة بعد ذلك إلى حاكم البلاد نمرود ابن كوش فكانت المواجهة العقلية بينهما  
مثل ما فعل مع قومه كما بينتها سورة البقرة ٢٥٨ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي  
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴿ ٢٥٨ ﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿ ٢٥٩ ﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿ ٢٦٠ ﴾

٧- ثم يأتي القرار الظالم والمتبوع بتحقيق نصر الله كما توضحه سورة الأنبياء  
الآيات ٦٨ — ٧٠ :

﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ

الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٦﴾

٨ — فكانت النار برداً وسلاماً على " أبرام " — إبراهيم — الخليل ﷺ ، وخرج صلوات الله عليه من النار ، ثم آمن به رجال من قومه على خوف من نمرود ، وأمنت به "ساراي" — سارة — وهي ابنة عمه حاران وأشقائها "ملكة" و "لوط" كما هو في سورة العنكبوت ٢٦ :

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ

بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ ﴿٢٦﴾ \* فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ

وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنَّ

الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾

٩— ثم إن "إبرام" — إبراهيم — ﷺ ومن آمن معه فارقوا قومهم وهاجروا إلى حران وأقاموا بها مدة ، ثم سار ﷺ إلى مصر وصاحبها فرعون ، فذكر جمال سارة لفرعون فأحضرها إليه وسأل عن "إبرام" — إبراهيم — فقيل له إنها أخته ، فهم فرعون المذكور بها فأبى الله يديه ورجليه ، فلما تخلص عنها أطلقه الله تعالى ، ثم هم بها فجرى له كذلك ، فأطلق سارة وقال لا ينبغي لهذه أن تخدم نفسها ووهبها أميرة كانت مسببة عنده اسمها "هاجر" ، فأخذتها سارة وجاءت إلى الخليل ﷺ الذي سار من مصر إلى الشام فأقام بين الرملة وإيلياء ، وكانت "ساراي" لا تلد فوهبت له "هاجر" حيث تزوجها ﷺ وأنجب منها "إسماعيل" ﷺ .  
جاء في سفر التكوين ١٦ : ١٥ ما يلي :

٥ ١فَوَلَدَتْ هَاجِرٌ لَّأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجِرُ «إِسْمَاعِيلَ».

**And Hagar bare Abram a son: and Abram called his son's name, which Hagar bare, Ishmael. (KJV)Gn:16:16**

١٦ ١كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجِرُ إِسْمَاعِيلَ لَأَبْرَامَ.

**And Abram was fourscore and six years old, when Hagar bare Ishmael to Abram. (KJV)**

**Gn:1:17**

وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا» فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَكْثَرْتُكَ كَثِيرًا جَدًّا.

And when Abram was ninety years old and nine, the Lord appeared to Abram, and said unto him, I am the Almighty God; walk before me, and be thou perfect. (KJV)

وتم تغيير اسم الخليل من أبرام إلى إبراهيم كما يوضحه سفر التكوين ١٧ : ٥ حيث يقول :  
**هَفَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ** لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لْجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ.  
 ٦ وَأَثْمَرُكَ كَثِيرًا جَدًّا وَأَجْعَلُكَ أُمًّا وَمُلُوكُ مِنْكَ يَخْرُجُونَ.

١٠- وكانت ولادة "إسماعيل" ﷺ لست وثمانين سنة مضت من عمر الخليل ﷺ فحزنت "ساراي" لذلك فوهبها الله ﷻ إسحاق وبشرها بأن إسحاق سوف يعيش وأنها سوف تعيش حتى تري حفيدها والذي أسماه الله ﷻ "يعقوب" كما توضحه سورة هود الكريمة ٧٠ - ٧٣ :

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ ۚ قَالَتْ يَوَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۚ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۚ﴾

١١- وولدت سارة ولها تسعون سنة وكان عمر "إسماعيل" ﷺ أربع عشرة سنة قبل ميلاد "إسحاق" ﷻ ، وتم تغيير اسمها من "ساراي" إلى "سارة" .  
 كما جاء في سفر التكوين الإصحاح السابع عشر العدد ١٥ :

Gn ١٥ : (١)

١٥ وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لَا تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ بَلْ اسْمُهَا سَارَةُ. And God said unto Abraham, As for Sarai thy wife, thou shalt not call her name Sarai, but Sarah shall her name be. (KJV)

: Gn:16:17

١٦ وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أَبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمًّا وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ».

And I will bless her, and give thee a son also of her: yea, I will bless her, and she shall be a mother of nations; kings of people shall be of her. (KJV)

: Gn:17:17

١٧ فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُوَلَّدُ لَابْنٍ مِئَةَ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ

وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟». Then Abraham fell upon his face, and laughed, and said in his heart, Shall a child be born unto him that is an hundred years old? and shall Sarah, that is ninety years old, bear? (KJV)

Gn: ١٨:١٧

18 وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!» And Abraham said unto God, O that Ishmael might live before thee! (KJV)

Gn: ١٩ : ١٧

١٩ فَقَالَ اللَّهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا

لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. And God said, Sarah thy wife shall bear thee a son indeed; and thou shalt call his name Isaac: and I will establish my covenant with him for an everlasting covenant, and with his seed after him. (KJV)

١٢— وسيرة الخليل عليه السلام كما روتها سورة البقرة الكريمة كان اسمه أبرام أو أبراهام وكان ابن ست وثمانين سنة لما ولدت السيدة هاجر له إسماعيل عليه السلام ولما بلغ إبرام من العمر تسع وتسعين سنة تغير اسمه إلى إبراهيم وكان عمر إسماعيل أربعة عشر سنة قبل مولد إسحاق وفي هذه السن أمر الله سبحانه خليفه أن يذبح ابنه إسماعيل.

يقول سبحانه في الصفات ١٠٢:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَسُوبُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ

قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢﴾﴾

وفداه الله سبحانه يذبح عظيم يقول سبحانه تكلمة سورة الصفات الكريمة :

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَرَاهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ

عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾﴾

---

(١) والمدقق في الترجمة المصحوبة وهي نسخة الملك جيمس ، تجدهم يكتبون إبراهيم وليس إبراهيم ،

أعد قراءة النص أمامك And Abraham said unto God, O that Ishmael might live (before thee! (KJV

١٣- وأسدل الستار على قصة الخليل في سورة الحج والتي يُحرم فيها قراءة اسمه الشريف بغير إبراهيم يقول ﷺ في سورة الحج ٢٦ - ٢٨ :

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا أَلَلَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَاقِرَ ﴿٢٨﴾﴾

وهكذا تبين لنا الحكمة من رسم إبراهيم البقرة بغير الياء ، يقول الأستاذ الشيخ محمد طاهر الكردي المكي الخطاط صاحب كتاب "تاريخ الخط العربي" و"تاريخ القرآن" : (ذكر العلماء تعليقات متنوعة لبعض كلمات الرسم العثماني غير أن هذه التعليقات ما هي إلا من قبيل الاستئناس والتلميح ، لأنها لم توضع إلا بعد انقراض الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وهم قد كتبوا المصحف بهذا الرسم لحكمة لم نفهمها وإشارة لم ندركها ، من غير أن ينظروا إلى العلل النحوية أو الصرفية التي استتبطت بعدهم) (١) ثم يقول : (فالخلاصة أن كل هذه التعليقات التي ذكرها العلماء من الزيادة والحذف في بعض كلمات القرآن لا تغني شيئاً والحقيقة أنها هكذا وصلت إلينا عن الصحابة الذين كتبوا القرآن الكريم، ولم ينكشف سر ذلك لأحد ، واله سبحانه علام الغيوب) ثم يبلغ به اليأس من الوصول إلى معرفة وجه لذلك إلى أن يقول (٢) : (فمن يرشدنا إلى سبب هذا التغاير في رسم المصحف العثماني إلا الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان ؟ وهذا إذا قاموا من قبورهم) ، والسؤال الآن : هل كان فضيلة الأستاذ الشيخ محققاً في كلامه ؟ .

(١) تاريخ القرآن للأستاذ الشيخ محمد طاهر الكردي ص ١١٤

(٢) المرجع السابق